# الدارة

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

العدد الخامس والعشرون (١٩٩٦ م ـ ١٤١٦ هـ)

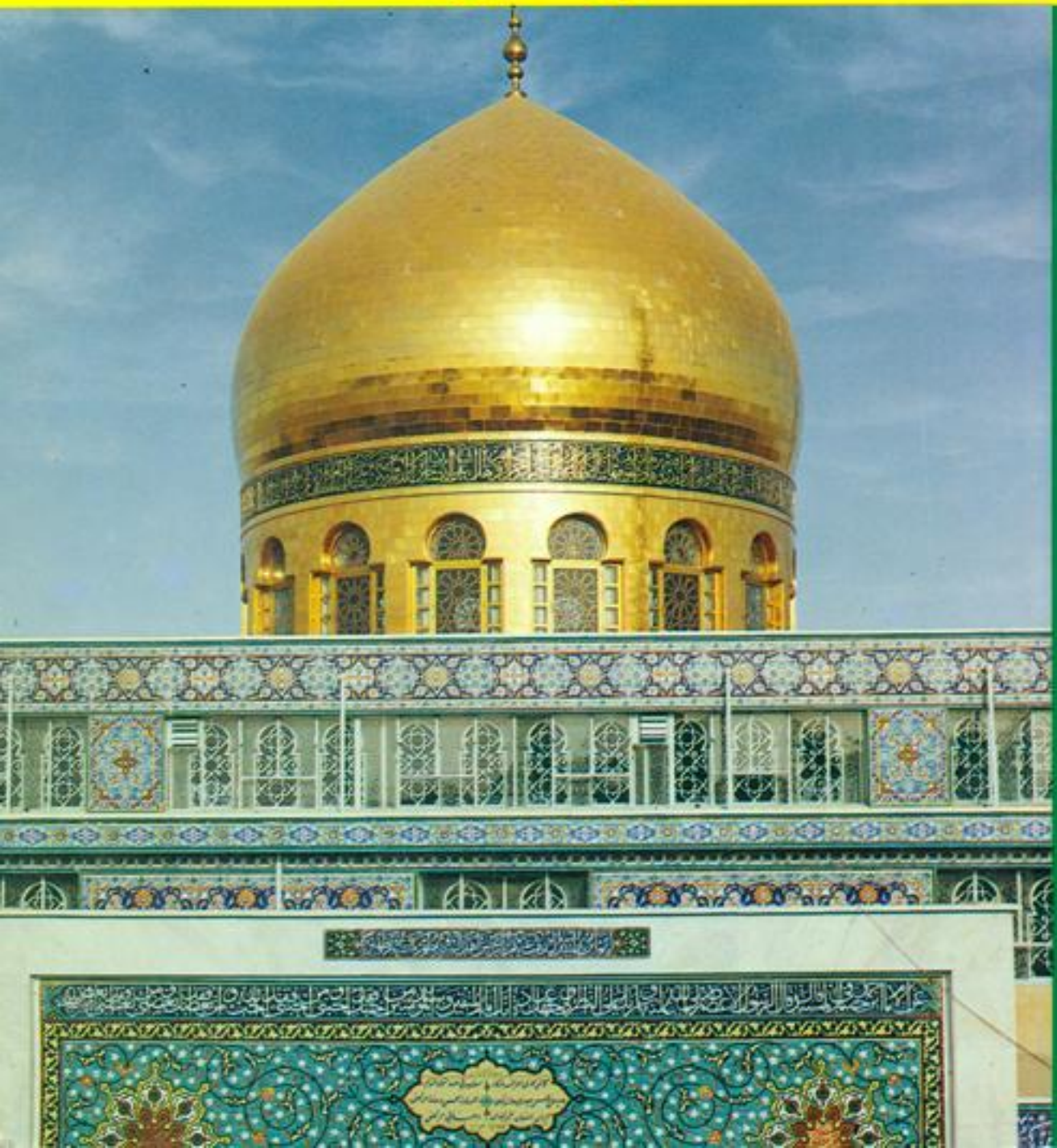

# الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

أكاديمية الكوفة

هولنده

المركز العالمي لدراسات أهل البيت عليهم السلام

المراسلات

KUFA ACADEMY
POSTBUS 1113
3260 AC OUD - BEYERLAND
NEDERLAND
FAX : 0031186616306

ISSN 1384 - 2773

المكتبة الملكية (هولندا - لاهاي)

# قمة المجد زينب عليها السّلام

**بقلم: خليل رشيد**

قد نصاغ الكلمة ونعني بسبك حروفها. لتضفي هالة الإعجاب والإكبار على سفاك ولوغ في الدماء فيفقد الحرف جرسه والكلمة قدسيتها إذا وضعت لغير ما صنعت له الكلمة ولغير ما بني له الحرف. والحديث الذي أريد أرفع من أن تصوره الكلمة أو يخطه الحرف. إذ مهما تسامت الكلمة ومهما ارتفع الحرف لن تبلغ ذؤابة هذا الحديث. أنى لشرف الحرف بشموخه وسطوع نوره أن يتناول قمة الرسالة وذروة مجد الإمامة زينب؟.

إيقاع الحرف وجرس الكلمة ورعفة القلم بجلالها لم تمنح العطاء الثر لمصب روافد هذا الحديث. لحديث أثقل به الصدر وضاقت به الجوانح. حديث الطهر زينب. . .

أي كلمة مختارة وأي حرف منتقى وأي فكر سخي معطاء يتنفس عنه القلم. ليخط أروع صفحة في التاريخ؟. أبقدرة هذا السائل العجيب وهذا الفكر المبدع الخلاق أن يخط حروفاً تطامنت لها رؤوس الطغاة. في موقف يخرس فيه مقول كل طاغية جبار. موقف يذهل فيه كل ثبت قوي الجنان.؟ موقف سخي معطاء تقفه حوراء علي وفاطمة في عرصات الطف يوم عاشوراء حيث الدم الزكي المسفوح من اخوتها وبنيها وحيث الذعر والفزع يشتت حرم ومخدرات الرسالة عن مخيم أضرمت فيه النار وجيش قوي جبار تحكمت فيه شهوة الطمع والانتقام. . !! فيمثل الطهر في محراب قدس النبوة حيث تتجلى عظمة الإيمان في قمة الإيمان. . فيكون البذل يكون العطاء. حيث لا بذل يضارع هذا البذل ولا عطاء يماثل هذا العطاء. . عطاء. اللهم إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى. اللهم تقبل منا هذا الفداء. . .

موقف فذ انفردت به العقيلة زينب يمثل قمة الإيمان وذروة العقيدة. . موقف تنهار فيه قوى الرجال وتتخاذل فيه العزائم غير من نما عوده وتصلب بأحضان علي وفاطمة. . موقف لا تلمه رعفة القلم وإطار الكلمة. بل لا تلمه دفقة القلب بما فيها من حرارة ودفع. . موقف يشل حركة العقل والتفكير عن تصوير كنهه ومعناه وعن سبر غور أبعاده ومرماه. . . تصور ولو مجرد تصوير عظم الكارثة وهو المصاب على زينب. وتصور عمق الإيمان الممتصة جذوره من قلب فاطمة ومن إيمان فاطمة. . أو ليس هذا الموقف الصلد معرباً ومعبراً لما انطوت عليه ثورة الحسين وعن عمق الإيمان فيها.؟ أعربت لمن أعجمت عليه ثورة الحسين. وعبرت عن مرمى الثورة الحسينية ببيان يعجز عن الإفصاح به فطاحل البلاغة وفرسان البيان؟. ببيان: اللهم إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى. . هذا موقف الحوراء زينب. الموقف الذي تطأطأت له هام الجبابرة تعظيماً وإكباراً لصلابته. الموقف الذي هو امتداد ولاشك لصلابة علي والحسين. . امتداد لعظمة النبوة. لعظمة الرسالة. لعظمة العصمة والإمامة. .

قف بإجلال وخشوع وتأمل عظم الموقف الذي انطوت تحته كل معاني العظمة. كل معاني

البطولة والتضحية. كل معاني البذل والسخاء.. هذا هو الموقف. موقف الحوراء زينب برفعته وشموخه. بعزته ومنعته. لا كما صوره الذاكرون بمنتهى الضعف والخور وفقدان العزيمة. إذ لم يفهم بعض الذاكرين من وقعة الطف وموقف الحوراء غير جلب العبرة وجر المغنم. وهذا لاشك يغضب الحسين ولا يرضيه أبداً.

أقول وملء فمي إيمان بما أقول. أقول: مجرم كل من يرقى هذه الأعواد ولم يعطها حقها. مجرم كل من يرقى هذه الأعواد ولم يوضح الغاية والغرض الذي من أجله قتل الحسين واستشهد.. مجرم والحسين خصمه ويشيح بوجهه عنه يوم القيامة كل من يظهر الحسين وثورته بمظهر الضعف والخور.. الحسين أعطانا دروساً في العزة والإباء وعلمنا كيف نكون صلة الإيمان والعقيدة. وان نقف موقفاً ملوءه العزة والفخار. فإذا ما ذكر الحسين ذكرت معه التضحية ونكران الذات. ذكر معه التفاني في سبيل العقيدة والمبدأ. ذكر معه التجرد عن الدنايا والهنات والرذائل. ذكرت معه الفضيلة وكل ماهو رفيع سام.. فكلمة الحسين عسيرة المتناول صعبة التحليل على قصيري الفهم والإدراك. والخطيب المصقع ليحار ويقف مندهشاً ويصيبه الحصر والعي ماذا يرصف من جمل وماذا ينضد من عبارات.. وما ينمق من معان؟. ولا يدر أية صفحة من صفحات هذا السجل الخالد يملي على الناس؟ والخطيب مهما وسعت دائرة تفكيره ومهما كثرت معلوماته وبالغا ما بلغ من الرقي والكمال لن يتعد الأمور السطحية البسيطة التي لامست حياة الحسين.. ونحن حتى الآن وللاسف لم نفهم من كلمة الحسين غير البكاء والنحيب والندم والعويل. كأن الحسين قتل لأجل أن تتعود اللطم وتألف البكاء. الحسين ارفع من أن يبك عليه. إذ لم يقف موقفاً غير مشرف ولم يمت ميتة ذليلة.. فالجدير بنا إذا ما ذكر الحسين اشرأبت أعناقنا متطلعة للمباهاة بهذا الإنسان الكامل. لا أن نطأطيء الرؤوس بذلة وانكسار. الحسين لم يرد لنا هذا وحاشاه ولم يفلح من أجله..

انفرجت شفة الزمن عن كلمة واحدة ثم أطبقت. وقد ظفرت الدنيا بأجمل أغاني الخلود. إنها كلمة:

حسين. هذه الكلمة المشرقة إشراقة الفجر. الهادرة هدير القمم. إنها نفحة الوفاء. نفحة التضحية. نفحة العزة والإباء والشمم. إنها غرس الرسالة ونفحة علي. إنه الحسين.

كل عام تتجدد الذكرى. ذكرى البطولة والإيثار. ذكرى التضحية والتفاني. ذكرى انتفاضة الحق. ذكرى اندحار الباطل وموته. ذكرى ثورة الحسين.. وذكرى ثورة الحسين ملء القلوب والإحساس. ملء الافاق. ملء الدنيا. ملء الكيان الإنساني.. هي نبراس المدلجين في مهامه الجهاد المقدس. والذود عن الكرامة. نبراس كل ثائر على الظلم والظالمين. وعلى من أهدر آدمية الإنسان. هي نظام الاباة الأحرار. قالت سكينة لمصعب بن الزبير: لا تفجعني بابن الزبير مرتين. قال:

يا بنت الحسين. ها ترك أبوك لابن حرة عذراً.. وأي عذر يا بن الزبير وقد سن الحسين

روحي فداه للاباة نهجا يستنيرون بهديه ويسيرون على ضوئه اما القتل أو النصر..

وهذا الحديث قارئي العزيز قد ملأ الآذان ووعته القلوب المستنيرة بنور الحق. ولم أرد بحديثي هذا بيان مآثر الحسين. وبطولة الحسين. وتضحية الحسين. وإنما هو حديث أريد أن أفرده لزينب. وأرى لزاماً علي وأنا أمر بأرض الطف أن أذكر الصيد الأشاوس الذين انحنى التاريخ وسيبقى منحنياً إجلالاً لذكراهم.. ذكرى الذين قال لهم الحسين روحي فداه، وقد ادلهم الخطب وغراب الموت البشع ينعب بين الصفوف مكشراً عن أنيابه المخيفة ومخالبه البشعة. وعروس الحياة الجميلة تنفرج عنها شفة الحسين بكلمة:

«هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً. ليس للقوم طلبة غيري وأنتم في حل من بيعتي..»

بماذا أجاب الصيد الأشاوس وقد تحرروا من البيعة. من الموت.؟ اسمع ولتسمع الدنيا دوي زهير بن القين وهو يخرج من بين الصفوف جهير الصوت رصين الاداء شجي النغم.. تطلعت إليه العيون. وخفقت القلوب. واشرأبت الأعناق ماذا عساه أن يقول.؟. فتنطلق من بين شفتيه هذه الكلمات في قوة المؤمن وعزيمة المجاهد وأمل الواثق من بلوغ ما يريد:

أبا عبد الله! ما طلقنا حلائلنا. ولا عفنا زهرة دنيانا إلا للفوز بالشهادة بين يديك. فو الله لو اقتل ثم احرق ثم أذرى في الهواء. يفعل بي ذلك سبعين مرة ما تركتك. فكيف وهي قتلة واحدة وبعدها الفوز بالجنة..

لله أم نهضت عنك يازهير. اشهد أنك نهيض حرة وغراس كريم..

وهذا عابس بن أبي شبيب الشاكري ممن قال فيهم أمير المؤمنين علي (ع): لو تمت عدتهم الفا لعبد الله حق عبادته.. يتقدم نحو الحسين فيقول: أبا عبد الله أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز علي ولا أحب إلي منك ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعز علي من نفسي ودمي لفعلته السلام عليك أبا عبد الله. إني على هديك وهدى أبيك وفيه قيل:

**بلقى الرماح الشاجرات بنحره ... ويقيم هامته مقام المغفر**
**ما أن يريد إذ الرماح شجرته ... درعا سوى سربال طيب العنصر**

كانوا سباقين للاعراب عما تكنه جوانحهم من حب وتفان وفداء في سبيل الحسين ع... يقوم مسلم بن عوسجة ليعرف عن خواطره وما يعتلج بنفسه بتلك اللحظة الحاسمة تجاه الحسين فيقول:

نحن نخليك أبا عبد الله وننصرف عنك وقد أحاط بك هذا العدو. لا والله لا يراني الله أبداً وأنا أفعل ذلك حتى أكسر في صدورهم رمحي واضربهم بسيفي ما ثبت قائمه. بيدي يقول التأريخ وملؤه إعجاب وإكبار: جاء حبيب بن مظاهر إلى مسلم هذا وهو في النزع الأخير ليقول: يا مسلم. لو لم أعلم أني لاحق بك لأحببت أن توصي إلي بكل ما أهمك؟ يقول مسلم: أوصيك بهذا. وأشار إلى الحسين. قاتل دونه حتى تموت. يقول حبيب، لانعمنك عينا..

جاءت الحوراء زينب عقيلة علي وفاطمة ليلة عاشوراء لأخيها الحسين قائلة: أبا عبد الله! هل استعلمت أصحابك نياتهم؟ قال: استجوبتهم وبلوتهم فلم أجد بهم إلا الأشوس الأكمس يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بمحالب أمه..

وهذا عدو الله وعدو الإنسانية من لازمته اللعنة إلى يوم الدين عمرو بن سعد يقول في هذه النخبة:

ثارت علينا نخبة مختارة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية تحطم الفرسان وتلقي بأنفسها على الموت. لا تقبل الأمان ولا ترغب في المال ولا يحول بينها وبين الورود على حياض المنية حائل. فلو كففنا عنها رويداً لاتت على نفوس العسكر بحذافيره.

لو أمعنا النظر في امتداد هذا الأفق الرحيب لكللت العين وانعب البصر. هم مصداق قول الشاعر:

ومن عجب أن الصوارم والقنا ... تحيض بأيدي القوم وهي ذكور
واعجب من ذا أنها بأكفهم ... تساقط جمراً والأكف بحور

هذا موقف الحسين. وهذا موقف صحب الحسين. وهذا موقف الحوراء زينب. هل رأيت به ضعفاً أو خوراً. وهل رأيت به استخذاءً أو استسلاماً؟.. ويبدأ دور الحوراء زينب عندما وقفت على جسد أخيها وهي ترنو بطرفها إلى السماء لتقول:

اللهم إن كان هذا يرضيك. فخذ حتى ترضى اللهم تقبل منا هذا الفداء.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى